النفوس طالبين الى الله ان يرشد كل اهل الاوطان الى ما فيه خير العباد وصلاح البلاد فانهُ اسمع السامعين

حلب الشهباء ومجلّة المقتبس

لحضرة القس جرجس بش المارديني الحلبي

في الصيف المنقضي زار صاحب المقتبس اللوذعي حلب الشهباء فكتب في تاريخها المدني وجغرافيتها السياسيَّة والصناعية والتجاريَّة وحالتها العمرانيـة والاجتماعية والادبية فصولا سابغة الذيول نشرهـا ولاءً تباعاً في الاجزاء الاخيرة من السنة السادسة من مجلته الزاهرة فجاءت خير برهـان على وفرة ادبه وسعة اطلاعه فحقَّ له مزيد الثناء على ما عاناه من الكد والتعب في ما دبَّجهُ يراعهُ السيَّال من تلك الطرائف الرائعة والحقائق الناضرة

وقد امعن في البحث واكثر من النقول الَّا في اشياء ارسلهـا على علَّاتها واثبتها كما رآها في كتب القدماء شأن الراحل او المسافر الذي يصف ما يشاهده ويروي ما يمرّ بخاطره دون ان يتسنى لهُ تمييز الغثّ من السمين وبيان الخطأ من الصواب في ما يدونهُ في استذاره من الانباء والآثار تاركاً لمن خفَّت عن نفسه مؤونة السعي ان يتعقَّب على هينته ما شاء في مثل تلك الاغراض والمباحث وما انا من يجهد لهُ العذر فعذرهُ ظاهر ولا من يتعقبهُ فيما اتى بهِ فلهُ على صواب ولهُ علي خطأ وانما التمس الحقيقة فيما اثبت وانفي والحقيقة بنت البحث كما لا يخفى

بنو حام

قال في الصفحة ٦٢٧ : « اوَّل من استوطن بقعة حلب بنو حام بن نوح وكانوا ينزلون من شط بغداد الى مصر » — وقد اصاب في بعض قولهِ الاول ولكنهُ اخطأ في الثاني فان مساكن بني حام معروفة لا خلاف عليها فبنو كوش امتدت مساكنهم من بابل وعلى شطوط الاوقيانوس الهندي حتى بلاد الحبشة ومصر وذرية مصرائيم قد توطنت مصر ونسل فوط قد سكن شطوط افريقية الشمالية على قول البعض او بعض اليمن

والسومال على قول آخرين. وبنو كنعان اهلت بهم سهول سوريَّة الشمالية وشطوط البحر المتوسط الى جنوبي فلسطين وهو ما يُستفاد من الكتاب الكريم

فرقة الكيتا

وفي تلك الصفحة: « قد كانت فرقة (من بني حام) فيها قيل انها تسمى الكيتا فسكنت بقعة حمص وحماة وحلب » — جرى الكاتب في لفظ الكيتا على التعريب الحرفي عن اللغات الافرنجيَّة والاقرب الى اللغات العبرانية والمصرية والاشوريَّة تعريبهُ لهُ بالحتا او الحيتا وهم الحثيون ابناء حثّ بن كنعان بن حام بن نوح. و كانوا (يمدُّون نحوم بلادهم الى جنوبي سورية والى نحوم مصر التي نشب بينهم وبينهـا حرب على عهد رعمسيس الثاني. وفي القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد استولوا على جزء عظيم من اسيا الصغرى) على مـا رواه المقتبس نفسهُ (٦ : ٦٨٠) اقرأ ايضاً مجلة المشرق ٩ : ١١٢٦ وما يليها)

ابراهيم الخليل

وفي الصفحة نفسها: « وسكن حلب ابراهيم الخليل » — وهو ما ذهب اليهِ بعض كتبة العرب كما يذهب آخرون منهم الى انهُ عليهِ السلام قـد قطن في بعلبك ومالك في دمشق الشام وسواهما وكلا المذهبين على حد ما يذهب اليهِ كتبة العرب انفسهم في مدفن النبي داود من انهُ في جبل صهيون وبيت لحم وبلاد البقاع وقرية مشحلا من اعمال حلب وفي مدفن ابنهِ سليمان من انهُ في كنيسة الجسمانية وباب الصخرة وبيت لحم وجزيرة اندمان غربي الهنـد الصينية وغير ذلك. ومهما يكُ من الامر فليس في الكتاب العزيز ما يدعم ذلك المذهب في استيطان ابراهيم في حلب ومن المحتمل ان يكون مرَّ بها عند رحيلهِ الى ارض الكنعانيين ولكنهُ غير قطعي

بنو آرام

وفيها ايضاً: « ثم جاء بعدهُ بنو ارام بن لوط من بني سام واستولوا على تلك البقعة » — لا ادري الى ما يستند في قولهِ ان آرام ابنُ لوط والمشهور المتعارف ان آرامَ ابنُ سام ولوطاً ابنُ هاران . . بن ارفكشاد ابنُ سام وهو جد الموابيين والعمونيين وارامُ جد الاراميين الذين عمروا دمشق واعمالها وتغلغلوا منذ الزمن الاطول في انحاء سورية

الشمالية ومنها حلب. ولما انقرضت الدولة الحثية عادت دولة الاراميين الى الظهور في تلك الجهات الى ان تغلّب عليها اليونان في عهد الاسكندر المكدوني وهو الذي اجمع عليهِ المؤرخون القدماء. والحدثاء استنادًا الى اشهر الآثار القديمة وبهِ غنى لذوي الالباب

مملكة ارام

وفي صفحة ٦٢٨: «وقسموها (اي مملكة الاراميين) الى ثلاثة اقسام الاولى جزيرة ارام... والثانية المملكة الشامية.. والثالثة مملكة ارام صوبا».. ولا ريب في ان الكتاب العزيز سمى سورية ارام نسبة الى ارام الخامس من ابناء سام على انهُ اضاف اسم ارام الى اعمال عديدة فقال ارام النهرين وارام دمشق وارام صوبا (وهي التي سبق ذكرها) وارام مملكة يراد بها فيما يظهر بلاد حاصبيا ومرجعيون وبانياس. وارام رحوب ويظهر انها كانت في محل الجولان الان. ذلك كل ما ذكرهُ الكتاب المقدّس وعليه المعول عند العلماء الاثبات

ارام صوبا

وفيها ما حرفهُ: «والثالثة ارام صوبا وهي الجُبُول من ناحية حلب وما قرب منها» - والذي عليه العلماء انها سورية المجوفة اي ما بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي او هي مملكة كانت بين دمشق جنوباً وحماة شمالًا وعلى ذلك ادلة. منها ان توعي ملك حماة حارب هدد ملك صوبة. ومنها ان اراميي دمشق اتوا انجدة هدد على داود عند حربهِ اياهُ ومنها ما جاء في سفر اخبار الايام الاول ١٨: ٣) وهو بحرفهِ: (وضرب داود هدد عزا ملك صوبة في حماة) اي في جوار حماة فمجاورة مملكة هدد لدمشق من جهة وحماة من اخرى وغزوتهُ في نواحي الفرات التي حاربهُ داود الملك بسببها يدلّ صريحًا على ان مملكتهُ كانت حيث ذُكر آنفًا فتامل

العالقة والكيتا

وفيها ما نصهُ: «ويقولون انها (حلب) من بناء العالقة بدليل الكتابة التي وجدت على (جدار)... جامع القيقان... مكتوبة بالخطّ الهيروغليفي بلغة الكيتا».. والكتابة بلغة الكيتا او الحتا (اي الحثيين) لا ريب فيها ولكن من اين استولى منها بيشوف الذي اخذ عنهُ المقتبس على ان حلب من بناء العالقة

والكتابات الحثية لا تزال رموزاً يعتاص حلُّها على العلماء حتى الآن فسقوط الدليل يُسقط معهُ ما استُدلَّ بهِ عليهِ كما لا يخفى . واطلاق الحثيين على العمالقة لا يخلو من خلط ومجازفة لان الحثيين من اصل حامي هو حث بن كنعان واما العمالقة فقال فيهم لنورمان الشهير انهُ يظهر من اقدم التقليدات العربية انهم من ذرّية ارام ولوديم فهم من اصلين حامي وسامي . ويظهر ايضاً من الكتاب المبين انهم كانوا يعمرون جنوبي سورية وهو المقرّر المعلوم

الكيتا والحاتيون

وفي تلك الصفحة : « ان كتابة . . . الحجر الاسود مكتوبة بالخطّ الهيروغليفي بلغة الكيتا او الحاتيين » — ومن الثابت المؤكد ان الشعبين من اصل واحد هو كنعان ابن حام ولكن الاوّل غير الثاني والاول هو شعب الحتا او الحثيين وقد سبق ذكرهم مراراً واما الثاني فهو قبيلة الحمثي او الحماتيين التي نزلت على ضفّة العاصي وأسّست مدينة حماة وسمّتها باسمها وهو ما يقولهُ علماء الانساب والتاريخ . والذي يلوح لي ان بيشوف الجرماني عرّب (في تاريخ حلب ص ٣ — ٥) اسم الحثيين تعريباً حرفياً (بالكيتا او الحاتيين) فجعلها جامع كتابهِ (الكيتا او الحماتيين) فصحّحها صاحب المقتبس (بالكيتا او الحماتين) فتبصَّر وتدبر

علبة وحلبون

وفي الصفحة نفسها : « وكان اسم حلب بلغتهم (اي بلغة الحثيين) حلبون وحلبة » — من المعروف ان الحاء والخاء لا وجود لهما في بعض اللغات الافرنجية فيستعاض عنهما بما قرب منهما مخرجاً من حروفها فلمانقلهما المصحح عن بيشوف السابق الذكر سمهما بالهاء جرياً على عادتهِ في التعريب الحرفي المستهجن والاّ فحلب لم تُسمَّ في وقت من الاوقات بمثل هذا الاسم المشوّه المنكر وانما سماها الاراميون على رأي البعض (حلبون) وسماها المصريون القدماء (خلبو) فصحفوا المصحح (بهلبون وحلبة) كما هو ظاهر . راجع ما شئت من كتب الجغرافية والتاريخ

فراعنة مصر

وفيها ايضاً : « اتى ملوك الفراعنة . . . وحاربوهم (الحثيين) وملكوها (حلب) منهم وهم توتمس الاوّل وتوتمس الثاني وسياتي ورعمسيس الاوّل » . (الصواب تحوتمس

الثالث وسيتي الاول ورعمسيس الثاني) وهم من ملوك الدولة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة بمصر وكل خبير يعلم ان في عصر الدولة الاولى ابتداء اعتناء بني اسرائيل وفي عهد الثانية كان خروجهم من مصر فلا ادري كيف يقول بعده « وذلك قبل التاريخ المسيحي بالفين وخمسمائة سنة الى ثلاثة الاف سنة » والصواب بالف وخمس مئة سنة الى الفي سنة على الكثير ولا اخال تأسيس حلب يتعدى الالفي سنة قبل ميلاد السيد المسيح (له المجد)

ملوك بابل

وفيها بعده : « واتى بعد ذلك ملوك بابل وحاربوا السريانيين (كذا) وملكوها (حلب) وذلك قبل التاريخ المسيحي بثمانمائة وستين سنة » — وهو يريد ملوك اشور كما هو المعروف المقرر وفي الاثار الاشورية ان تجلت فلاصر الاول وكان سنة ١١٣٠ او سنة ١١٢٠ ق م قد حمل على سورية فافتتحها عنوة واخضعها لسلطته . وجاء بعده بعض خلفائه على عرش نينوى مثل اشور نصربال الذي ملك سنة ٨٨٣ ق م وسلمناصر الثالث الذي استوى على سرير الملك سنة ٨٥٨ ق م فاغاروا على سورية وامتلكوا بلادها وكل هؤلاء غشوا سورية قبل الزمن الذي عينه الكاتب بقرون كما هو ظاهر

سلمناصر الرابع

وفيها ايضاً : وفي سنة ٨٦٠ ق م حارب سلمناصر الرابع الحماتيين وملك حلب في جملة ما ملك من البلاد » — ومن هذا يظهر ان الكاتب يريد الحثيين على ما سبقت الاشارة اليه . ولكني لا ادري من يريد بهذا سلمناصر الذي نعته بالرابع مع انه في التاريخ الذي عينه الكاتب كان المالك اشور نصربال الذي ملك من سنة ٨٨٣ الى سنة ٨٥٨ ق م وقد اقر العلامة لنورمان في تاريخه (ج ٤ ص ٢١١) انه لم يحمل على سورية من ملوك اشور بعد سلمناصر الثالث سوى حفيده رمان الثالث وخلفه تجلت فلاصر الثاني الذي ارتقى عرش نينوى سنة ٨٥٨ الى سنة ٨٢٣ ق م

الروم واليونان

وفيها بعده : « جاء الاسكندر واخذها (حلب) . . . فصارت مسكناً للروم اليونانيين يقولون انا خلبه ولما حولها خلبن . . . وكانوا يقولون لها برويا . . . ولعلها

عربية من قولهم بربري» — ففي قوله « الروم اليونانيين » تسامح ظاهر وهؤلاء سبقوا اولئك في امتلاك حلب كما هو معروف. واما خلبه وخلبن فقد اتفق ناقلوها على تعريبها بكالب وكالبون ولا بأس من تعريبها خالب وخالبون وهي ترجمة (حلبون) باللغة اليونانية. واما بروبا فالصواب فيها بروًا او بيروا وبهذا رسمها كل من ذكرها. واما قوله انها عربية من البربري فهو مثل سواه من توجيهات العرب فيما حاولوا ان يجدوا له اصلًا في اللغة العربية من الالفاظ الاعجمية العديدة

حلب والروم

وفيها اخيرًا: « ثم استولى الروم على حلب وجعلوها كرسي مملكتهم مع سورية وانطاكية » — وهو قول لا يخلو من مجازفة ومهما يكُ منهُ فان حلب كانت في عهد الروم من اعمال قورستيكا التي كانت قاعدتها قورس او قورش وهو الذي ذكرهُ الجغرافيون فاعتمدهُ

انوشروان

وفي ص ٦٣٠: «جدد كيرويس الشرواني ما انهدم من سور حلب» — والصواب « كسرى انوشروان » وبهِ رسمهُ مؤرخو العرب وبهم يجب الاقتداء في كتابة الاعلام وسواها كما لا يخفى

اسم خاليس

وفي ص ٦٣٢: « واسم (نهر) قويق القديم شالوس. عن سالنامة ولاية حلب » — والصواب (خاليس) وقد ذكرهُ كزينفون اليوناني وبهذا عربهُ كل من ذكرهُ من الكتاب

اسم قويق

وفيها ما حرفهُ: « وسبب تسميته (النهر) بقويق ان رجلًا من رؤساء عشائر التركمان في القرن الرابع اسمهُ قويق اغا انشأ لهذا النهر عدَّة سدود ليجري جريةً حسنة فأطلق اسمهُ على النهر من ذاك الحين » — وهو ما رواه البعض واعتمد عليهِ آخرون ولكني في ريب من صحتهِ لا لان التركمان ما استطاعوا اذ ذاك ان يتولوا حلب حتى يجروا فيها مثل هذه الاصلاحات التي هي من خصائص الهيئة الحاكمة بل لان مثل

ابن الطيب السرخسي الشهير يذكرهُ بهذا الاسم في رحلته سنة ٢٧١ هـ (٨٨٤ م) اي قبل القرن الرابع وعندي ان تسمية النهر بهذا الاسم سبياً آخر واسمهُ ليس بكردي ولا عربي فتأمل

عما لاغما

وفي ص ٧٠٣ : «كفر غما (؟) صقع بين خساف وبالس من نواحي حلب» — في حين انهُ كرره في ص ٨٠١ فقال : كفرغما صقع في برية خساف بين بالس وحلب. وهو الذي يقولهُ اصحاب الجغرافية والمعاجم

فامیا وابیفانیا

وفي ص ٧٤٣ ذكر عن حماة : « انهُ ربما كان انطوخيوس ابيفان هو الذي سماها (ابفانيا) . . . ولم يصرح جغرافيو العرب بان فامية هي حماة . . . بل قالوا ان فامية هي مدينة قديمة » — قلتُ ليس صاحب المقتبس اول من شُبِّه عليهِ اسم حماة اليوناني بافامية فقد شُبِّه على كثيرين من قبلهِ من كتّاب الفرنجة والعرب والسريان . واول من كشف الغطاء عن حقيقة هذا العلَم انما هو الرحالة بوركهرت الشهير فتبعهُ العلماء الاثبات (المشرق ٦ : ٥٥٣) وهو الصواب فان فامية او افاميــة (قلعة المضيق) واقعة في الشمال الشرقي من حماة وكانت في عهد العرب من كورة حمص (انظر المقتبس نفسهُ ٦ : ٦٩٠ و ٦٩١) وقد انتبه صاحبهُ لذلك في عدد مجلته الاخير (٧ : ٢٢٩ فقال : « افامية غير حماة » وهو الصواب

. . .

هذا وقد اكثر من النقول عن جغرافيي العرب في بلاد عديدة دون ان يحقق اسماءها او يذكر من احوالها الحديثة شيئاً فبقي فيها اشياء لغوية وجغرافية لا سبيل الى تحقيقها الان آملاً ان لا يبدو لهُ كلامي في غير لونهِ من الاخلاص وفوق كل ذي علم عليم